

الإثنين 28-11-2011

1550-الفاتحة للعسكري، قلع الطربوش وعمل ولى!! نجيب محفوظ

### تعتة التحرير

### الفاتحة للعسكري، قلع الطربوش وعمل ولى!! نجيب محفوظ

هذه الأغنية الشعبية، جاءت في حديث شيخي نجيب محفوظ منذ ستة عشر عاما، وبالتحديد يوم 2 يناير 1995، وقد أثبتتها أولا في كتابي "في شرف صحبة نجيب محفوظ" والذي ظهر الكترونيا في موقعي بتاريخ 2009/9/5 كما اقتطفتها في تعتة الدستور الأولى بتاريخ 2009/9/2. كان ذلك في سياق نقاشنا المتجدد حول مثل ما تدور حوله حوارات هذه الأيام، كنا كلما ذكرناه باحتمال أن من سيتولون أمرنا قد يكونون من الذين كفروهم وكاد يدفع حياته بسبب عمالهم، كان يصر أكثر على احترام حق الناس لأن مختاروا من يشاؤون، وأن الزمن كفيل أن يفرض الأحسن من الأسوأ. تصورت أنه لو كان مازال بيننا حتى هذه اللحظة، كان سيرضى بنتيجة رأى الناس حتى لو أتت النتيجة بمن أرادوا اغتياله .

ولأبدأ بإثبات ما سجلته منذ ستة عشر عاما بتاريخ 2 يناير 1959 وظهر حيث ذكرت في بداية المقال:

1995/1/2

"... رحنت أحكى للأستاذ عن ما آلت إليه حال الناس مما يبدو كأنه شكل المحافظة على القيم الدينية، دون التزام بالقيم الإيجابية الإسلامية الحقيقية، فرد قائلا: "ألا يعني هذا أنهم قد كسبوا الوعي المصرى بشكل أو بآخر، فهتم منه أنه لابد من احترام ما وصل إليه مجموع عامة الناس، وأن الحال التي آلت إليه مرحلتنا، والذي يمكن أن نرصده من خلال ما يمكن أن يسمى "المد الديني"، هو إعلان عن توجه أغلب الناس إلى ما اختاروا أن يتوجهوا إليه، وما دام قد حدث ما حدث، وأنه لا يوجد بديل واضح سوى بعض التكنوقراطيين والبيروقراطيين والعسكر، فلابد من إعطاء الفرصة، أربع سنوات فأربع سنوات، وما يكون فنحن-في كل مرحلة- لا نستأهل إلا ما هو نحن،

لم أهدم، ورحت أعيد بتكرار سخيף قائلا: "فأنت ترى أن علينا أن نتحمل أربع سنوات حتى تتاح الفرصة لغير من لم يصلح ليحقق ما كنا نأمله فيه ومنه؟ لكن هذه الأربعة سنوات قد تمتد لتصل إلى أربعين أو أربعمئة، فيهز الأستاذ رأسه بغير إصرار، ويقول: "كم سنة مرت الآن على الجزائر منذ أن رفضوا رأى الناس، وكم ضحية ذهبت من الجانبين، لقد كتبت في "وجهة نظر" آنذاك أنهم لو كانوا تركوا الجزائر لجهة الإنقاذ، إذن لكننا احترمنا رأى الأغلبية، ثم لأظهرت السنوات الخمس التي تولوا فيها الحكم مدى صلاحيتهم، وربما كانوا قد فشلوا بعد هذه السنوات في الحصول على الأصوات التي سلمتهم الأمر". فيقول محمد إبي - أحد حضور الجلسة- إن أول شيء سوف يعملونه هم أنهم سيغيرون الدستور ليحولوا دون احتمال زوالهم، لأنهم سيعتبرون زوالهم ليس زوال الأشخاص وإنما هو رفض الإسلام، إن المصيبة أن القانون الذي سيأتي بهم لن يبقى قائما ليزيلهم ، فيقول الأستاذ "ولو!، إن التجربة كفيلة أن تعلمهم وتعلمنا أن أحدا لا يستطيع أن يقف في وجه التطور أو الواقع إذا ما استمر الخطأ أو الفشل أو الفساد، لقد أعلن رئيس إمبراطورية نووية (يقصد روسيا) انهيار كيان إمبراطوريته حين أدرك الواقع المر الذي وصلوا إليه نتيجة تجاهلهم لغة المرحلة الزمنية التي يعيشونها، وإغفالهم نبض الناس، "ثم يضيف" لقد تحملنا خمسين سنة (ما زال الحديث سنة 1995) فلنجعلهم خمسا وخمسين، ستين!، ماذا سنخسر أكثر؟ ثم يستطرد: إن حدس الشارع المصرى حين كان يغني الناس: 'الفاقة للعسكري، قلع الطربوش وعمل ولي' كان يشير إلى عمق وعى الناس الساخر وهو يكشف كيف أن الحاكم الدينى المتسلط، ليس إلا حاكما عسكريا دكتاتوريا يلبس عمامة، بعد محاولة تخفيه بخلعه الرمز العسكري (الطربوش)، هذا الحدس الشعى هو الذى سيزيح العسكر، وهو هو الذى يستطيع أن يزيح مدعى الولاية تحت أى اسم سلطة، الواحد تلو الآخر!!..."

### ( انتهى المقتطف مع تعديل طفيف للإيجاز )

حين أعدت قراءة ما كتبت منذ ستة عشر عاما على لسانه لم أجد أصدق ورحت أراجع ما نحن فيه الآن 2011، وما ثار حول دور الجيش، والشكوك في توأته مع الاخوان في البداية وربما حتى الآن، بل والشكوك في توأتهما معا مع عناصر خارجية لها مصالح في انهيار الاقتصاد الوطنى، وإجهاض الزخم العربى القومى، لصالح الاحتكارات المالية العولمية، ثم ما أثير بعد ذلك من تنافس هذين الفريقين في إرضاء الأيدى المحركة، ثم انتباه الثوار والشباب وعموم المصريين إلى كل هذا حتى كاد الأمر ينتهى إلى أن يكون العسكر والاخوان (أو الاسلاميين) في ناحية، والثوار والمصريون في الناحية الأخرى، رحت أراجع كل هذه الظنون ولا أحسم فيها رأيا، لكنها هى التى جعلت أغنية الاستاذ ترن في أذن وتصورت لو أن جماهير التحرير يعرفونها ويعرفون تاريخها لغنوها في ميدان التحرير إما ليعروا اتفاقا لسنا متأكدين من صحته، وإما لينبهوا المجلس العسكرى إلى أن أية اتفاقات تحتيه سوف يكشفها الشعب بذكائه وثوريته وقوته .

حضرني الأستاذ وكأنه لم يرحل فعدت كعادتي أتعلم منه بعنادي وغبائي معا وهو يقصر أذني وينتهي إلى احتمال أن المجلس "العسكري" لم يقلع الطربوش ويعمل وليا، وإلا لما أصدر الوثيقة التي اختلف عليها مع التيار الاسلامي، فأعود أشكك في ذلك وأشير إلى احتمالات وراء الكواليس، وأخبره عن تصريحات الست كلينتون المشبوهه بأن أمريكا ليس عندها مانع أن تتعاون مع الاسلاميين إذا جاؤوا باختيار ديمقراطي، فيسألني وما اعتراضك على هذا؟ فأقول له إنها ديمقراطية ملتبسة، ثم إنني أعترض على الذين يسرون أمريكا وحكام أمريكا، نحن بالنسبه لهم لسنا إلا مواد خام وأسواق غيبه وتابعون، ثم إن القوى الأمريكية الوطنية نفسها تحاول أن تنقذ اقتصاد أمريكا من هذه الألعاب المالية العالمية الشرسة، فيقول لي، ها أنت ذا قلتها، فلتحاول أية أغلبية تأتي بها انتخاباتنا أن تنقذ اقتصاد مصر، وأمواال مصر، ومواد خام مصر والعرب من هذه القوى نفسها، وإلا فنحن لا نستأهل إلا ما يريدونه بناء، أو يحكونه لنا، كل ما علينا هو أن نختم الانتخابات القادمة ثم نرصد أداء من يكسبها حتى نتبين تقاعس أو خيانة من تولى أمرنا إذا حدث ذلك، فنحل محلهم من يحافظ على استقلالنا الاقتصادي، واسهامنا الابداعي، وكرامتنا الانسانية، فأقول له: يا خير، ومتى يكون ذلك، فيقول: نحن وشطارتنا.

ياه!! يا شيخنا الجليل

حاضر! نحن وشطارتنا.